دور الأديان في إدارة النزاعات والوقاية منها
بين محددات الواقع وآفاق المستقبل: دراسة تحليلية

أ.د خالد صلاح حنفي محمود(*)

الملخص:

كان للأد ن عبر ريخ البشرية ثير كبير كقوى محفزة لكل من السلام والحرب، لذلك سعى كثير من رجال الدين، والمؤسسات الدينية على التخفيف من النزاع العنيف، ومساعدة الذين يعانون من العنف والاضطهاد، وتعزيز السلام. ونظرًا إلى الأدوار المعقدة للدين في السلام، ووجود ديناميكيات صراع فريدة مع سياقاتها، فإنه من المهم لكل من يسعى للمشاركة في نشاطات بناء السلام أن يفهم أين وإلى أي حد يكون الدين مهمًّا، ومن ثم يقرر ما إذا كان سيشنزك مع العناصر والمؤسسات الدينية الفاعلة وكيفية ذلك، خلال أوقات السلام والنزاع.

ومن ثم، فقد سست مبادرات عالمية وإقليمية لتقريب وجهات النظر، والدفع من أجل حوار بين الأد ن يزيل النقاط الخلافية، و كيد دور الأد ن في معالجة القضا الإنسانية الكبرى، والعمل معا للتصدي للنزاعات التي تنشأ من الاختلافات الدينية، وتزداد الحاجة لمثل هذا التوجه في وقت الاضطرا ت والنزاعات التي تحيق بنا جميعا وبعالمنا اليوم.

وقد سعت هذه الورقة من خلال استخدام المنهج الوصفي التحليلي ومراجعة الدراسات والبحوث السابقة إلى التعرف على طبيعة العلاقة بين الأد ن والنزاعات، وخصائص النزاعات الدولية، وتحليل النماذج والأمثلة التاريخية لدور الأد ن في تسوية النزاعات والوقاية منها، وانتهت الورقة إلى عرض سبل تفعيل دور الأد ن في حل النزاعات وبناء السلام.

الكلمات المفتاحية: الأد ن — دور – النزاعات– دراسة تحليلية– تسوية – مستقبل.

Abstract:

Religions have had a significant impact as motivating forces for both peace and war throughout human history. Many religious leaders and institutions have aimed to alleviate violent conflicts, help victims of violence and persecution, and promote peace. Understanding the complex interplay between peace and religion, and the specific dynamics of their contexts, is crucial for those involved in peace-building efforts. This understanding can help individuals determine the significance of religion in different situations and decide whether to collaborate

(*) أستاذ أصول التربية بكلية التربية، جامعة الإسكندرية.

with relevant religious institutions and elements, and how to do so effectively in times of war and conflict. This study employed a descriptive method and reviewed existing literature and previous studies to analyze the relationship between religions and conflicts, the characteristics of international conflicts, and historical examples of the role of religions in conflict resolution and preventing them. The findings identified strategies for activating the role of religions in resolving conflicts and fostering peace.

.**Keywords**: Religions- role- conflicts- an analytical study- settlement- future

المقدمة:

يموج العالم المعاصر لصراع، والنزاع، مما أدى إلى تعالى أصوات التحذير من احتمالية نشوب حرب عالمية لثة، خصوصًا مع ما شهده العالم من تنامي الصراعات والحروب، فمن الحرب الإسرائيلية على غزة، إلى حرب محتدمة بين روسيا وأوكرانيا، وإلى صراعٍ مشتدٍ بين الصين والولا ت المتحدة الأمريكية على السيطرة والسيادة، سواء على المستوى العسكري أو الاقتصادي والصناعي.. كل تلك الأحداث دفعت البشرية للبحث عن حلول في مواجهة دعاوي الحرب والصراع.

ومن هنا؛ بدأت الدعوات تجاه الدين، ورجال ومؤسسات الدين للقيام بدور فعال في تسوية الخلافات والنزاعات، والوقاية منها، وتفعيل الحوار بين أصحاب الد ت في مواجهة المنادين لصدام والصراع، ودعاة الحرب. وقد اتجه المفكرون والباحثون مؤخرًا إلى تحليل دور الأد ن، ومحددات ذلك الدور، ومتطلبات نجاحه؛ فالأد ن يمكن أن تكون دافعاً أو حافزاً لتحقيق السلام، من خلال إنهاء الصراع، والمساعدة في بناء التماسك الاجتماعي القوي؛ فضلاً عن دورها في منع نشوب النزاعات، والوقاية من مسبباتها.

ويرى بعض علماء العلاقات الدولية والدين أن عودة الدين إلى المجال السياسي هو نتيجة لعدم الرضا عن "الدولة العلمانية ما بعد الكولونيالية (Thomas 1999) "و"خيبة الأمل من الحداثة". Thomas) (2005 (دراغوفيتش، 2018، 3) وهذا الرأي قد ينطبق على العالم الغربي والدول العلمانية بطبيعة الحال، لكن الأمر مختلف في العالم العربي، والشرقي، إذ أن للدين ورموزه من رجال الدين، والمؤسسات الدينية دور لا يمكن إغفاله أو تجاهله في السياسة.

لكن ما هي طبيعة العلاقة بين الأد ن والنزاعات؟، وهل الأد ن تعد عاملًا إيجابيًا في معالجة النزاعات، والوقاية منها أم أنها عاملٌ سلبيٌ ومحفزٌ للصراع والنزاع؟!، وما تطور العلاقة بين الأد ن وتسوية النزاعات؟، وأخيراً كيفية تفعيل دور الأد ن في حل النزاعات، والوقاية منها، وبناء السلام، وذلك ما سوف تتناوله السطور الآتية.

أولاً- طبيعة العلاقة بين الأد ن والنزاعات:

إن العلاقة بين الأد ن والنزاعات هي علاقة معقدة، ومتشابكة، وتتأثر لسياقات الاجتماعية، والثقافية، والسياسية لأي مجتمع، كما تختلف حولها الآراء ووجهات النظر؛ وانقسمت إلى اتجاهين رئيسيين:

الاتجاه الأول: يرى أن الأد ن تمثل أحد أسباب اشتعال النزاعات والحروب:

فأحياً ما يتم توظيف الدين، والعوامل المرتبطة به لإشعال الصراعات، أو نشر التعصب والتطرف، وإ رة الكراهية، والفتنة، و جيج الصراع والعنف، لا سيما في المواقف التي تتقاطع فيها الاختلافات الدينية مع القضا السياسية والاقتصادية، كما يستخدم الدين لتبرير الاضطهاد والتمييز ضد الفئات المهمشة، ولا سيما النساء والأقليات الدينية. (حسن، 2023)

ويتسم العنف الذي يرتكب " سم الدين"، أي الذي تستند أسسه أو مبرراته المزعومة إلى المعتقدات الدينية لمرتكب الجريمة نه ظاهرة ذات طبيعة معقدة في مناطق مختلفة من العالم. ومع أن العنف الذي يرتكب سم الدين لا يزال يمثل ظاهرة محلية أو إقليمية في بعض البلدان، فقد تزايدت بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة وتيرة أعمال الإرهاب التي ترتكب عن عمد بغرض توجيه رسائل على الصعيد العالمي، وارتكاب بعض الفظائع من أجل العرض في وسائط الإعلام الإلكترونية، على نحو يضفي نمطاً آخر من الإذلال على مأساة الضحا وأسرهم. (بيلفيلد، 2014، 1)

وقد يحدث العنف سم الدين في شكل اعتداءات تستهدف الأفراد أو الطوائف، أو أعمال عنف طائفي، أو هجمات انتحارية، أو أعمال إرهابية، أو في شكل إرهاب الدولة، أو شكل سياسات رسمية وتشريعات قمعية وتمييزية، وغير ذلك من أنواع السلوك العنيف الأخرى. وتشمل فئة الجناة عادةً أنماطاً مختلفة من الأطراف الفاعلة غير الرسمية، لكنها قد تشمل أيضاً هيئات حكومية، أو تجمع بينهما معاً في أحيانٍ أخرى. وفي بعض البلدان تتذرع الجماعات المسلحة سم الدين لتبرر الفظائع التي ترتكبها، مثل عمليات القتل الجماعي التي تستهدف ضحا محددين، والإعدام خارج نطاق القانون، والإعدام التعسفي، والاختفاء القسري، والتعذيب والعنف الجنسي، والاعتداءات العشوائية على المدنيين، وعمليات الطرد الجماعي، والاسترقاق أو التدمير المنهجي لطوائف معينة، وتخويف الأقليات الدينية من خلال عمليات المضايقة وتدنيس المقابر وأماكن العبادة، وانتزاع ملكية الأراضي أو المقتنيات، والتزويع.

وقد مثلت الأد ن، والدوافع الدينية أحياً في فترات ريخية مختلفة الأسباب الرئيسة لنشوب الصراعات، والحروب، كما هو الحال في الصراع العربى – الإسرائيلي وقضية القدس، والتوتر المذهبي الذي ألقى بظلاله السلبية على علاقات إيران بدول المنطقة السنية. (عاطف، 2014، 1)

ويتم توظيف الدين في النزاعات والحروب من خلال الأشكال الآتية: (حسن، 2023)

1- التطرف الديني :يمكن للتطرف الديني أن يؤجج العنف والصراع، فقد تستخدم الجماعات المتطرفة الدين لتبرير أعمال العنف، مما يؤدي إلى صراعات دينية أو طائفية، ومن أمثلتها جماعة تنظيم الدولة (داعش) بدولة العراق في الفترة من (2014م) حتى (2017)م، وجماعة التكفير والهجرة في مصر في فترة

السبعينيات، والثمانينيات، كما شهدت جمهورية أفريقيا الوسطى أعمال عنف طائفية بين المجتمعات المسيحية والمسلمة منذ عام 2012. وقد أدى الصراع إلى مقتل الآلاف وتشريد أكثر من مليون شخص. وغالبًا ما تستخدم الاختلافات الدينية كمبرر للهجمات على الأفراد والمجتمعات، ويمكن الإشارة إلى حالة جيش الرب للمقاومة وهي جماعة متمردة نشطت في أوغندا وأجزاء أخرى من وسط أفريقيا منذ الثمانينيات. ويقود المجموعة جوزيف كوني، الذي يدعي أنه نبي مرسل ويستخدم الصور المسيحية لتجنيد الأتباع، وقد كان جيش الرب للمقاومة مسئولاً عن العديد من الفظائع، بما في ذلك اختطاف الأطفال وتجنيدهم بشكل قسري.

2- التعصب الديني :عندما يتبنى الأفراد أو الجماعات آراء جامدة أو عقائدية حول دينهم، فقد يصبحون غير متسامحين مع الأد ن أو المعتقدات الأخرى، مما يؤدي إلى التمييز أو الاضطهاد أو حتى العنف. ولعل أبرز مثال على ذلك هو أن نيجير شهدت نزاعات دينية بين المسيحيين والمسلمين، وتصاعدت إلى أعمال عنف مميتة. ومنها أزمتا جوس وكادو اللتان قُتل فيهما آلاف الأشخاص على مر السنين. وغالبًا ما تغذّي هذه الصراعات عوامل سياسية واقتصادية، لكن الاختلافات الدينية تلعب دورًا مهمًا في تصعيدها.

3- سياسات الهوية الدينية: قد يستغل القادة السياسيون الاختلافات الدينية لتحقيق مكاسبهم الخاصة، مما يؤدي إلى تسييس الهوية الدينية وتفاقم التوترات بين الجماعات. في جمهورية الكونغو الديمقراطية، تم تسييس الدين في سياق الصراع المستمر في الجزء الشرقي من البلاد، واستخدمت الجماعات المسلحة الخطاب الديني لحشد الدعم وتبرير أفعالها. على سبيل المثال، زعمت القوات الديمقراطية المتحالفة، وهي جماعة إسلامية متطرفة أوغندية، أنها تقاتل من أجل إقامة دولة إسلامية في المنطقة.

الاتجاه الثاني: يرى أن الأد ن هى الأساس في نشر السلام، وتسوية النزاعات والصراعات:

ويرى أنصار هذا الاتجاه إنه لا يمكن إنكار حقيقة إنه لا شك إن الإيمان الصحيح الذي يؤصل إلى أن كل أبناء آدم أخوة في الإنسانية، هو الذي سيحفز التعاون والتعايش والتقارب، وتبادل الأفكار والآراء، والخبرات، والثقافات للوصول إلى ما فيه الخير للناس كافة في كنف التسامح والسلام. (مركز الدوحة لحوار الأد ن، 2021)

ويرى مؤيدو الدور الإيجابي للدين نه يساعد في تعزيز التماسك الاجتماعي وتنمية المجتمع، فضلاً عن توفير الإحساس لهوية والمعنى للأفراد والمجتمعات. كما يشيرون إلى دور القادة الدينيين في تعزيز العدالة الاجتماعية، وحقوق الإنسان، والقيم الأخلاقية، وفي تقديم التوجيه الروحي والأخلاقي لأتباعهم. (حسن، 2023)

وتشغل الأد ن مكانة في صناعة السلام وحل النزاعات وتسويتها، لما للمعتقدات الدينية من أثر عميق في بناء شخصية الإنسان، وتشكيل بنية العلاقات الاجتماعية، والدولية، لما لعلماء الأد ن وقادتها من ثير قوي على من يتبعونهم، ويثقون به، ويمكن استثمار ذلك لإدارة النزاعات وحلها.

وقد سبق أن لعبت شخصيات دينية دور فعال في بناء السلام، فعلى مدار السنوات الـ 100 الماضية، وقد كان من أعظم قادة السلام في القرن العشرين من رموز ورجال الدين مثل (غاندي، ومارتن لوثر كينج). كما اعتمدت الحركات المضادة للعنف على المبادئ والتعاليم المتضمنة في الأد ن السماوية الرئيسية (الإسلام، المسيحية، واليهودية).

ويمكن أن يقوم الدين بدور مهم في نشر السلام وتسوية النزاعات من خلال النقاط الآتية:

1- يمثل الدين جانبًا مهمًا من جوانب الثقافة في كثير من المجتمعات إذ يعد الدين مركزً في حياة الناس، حيث يوفر إطارًا لمعتقداتهم وقيمهم وسلوكهم. لذلك، فإن للزعماء الدينيين ثير كبير على أتباعهم، والذي يمكن الاستفادة منه لتعزيز السلام والمصالحة.

2- يوفر الدين إحساسًا لهوية والمجتمع، ومن المرجح أن يساعد ذلك في خلق التماسك الاجتماعي وتقليل الصراع. في بعض الحالات، يوفر الدين أساسًا لحل النزاعات والوساطة.

3- يمكن للزعماء الدينيين العمل كوسطاء، فغالبًا ما يحظى الزعماء الدينيون لثقة والاحتزام من قبل مجتمعاتهم، و لتالي يمكنهم العمل كوسطاء بين الأطراف المتصارعة. ويمكنهم تسهيل الحوار والمفاوضات والمساعدة في بناء الجسور بين المجموعات المختلفة.

4- يمكن للدين أن يعزز التسامح والمصالحة، حيث تشجع العديد من التقاليد الدينية التسامح والمصالحة واللاعنف، وهي أمور ضرورية لبناء السلام. ويمكن أن تساعد التعاليم والممارسات الدينية الأفراد والمجتمعات على التعافي من صدمة الصراع والمضي قدمًا.

5- يمكن للدين أن يوفر التوجيه الأخلاقي، وفي الواقع يمكن أن يوفر الدين بوصلة أخلاقية لتوجيه الأفراد والمجتمعات في اتخاذ القرارات الأخلاقية؛ مما يساعد في تعزيز السلوك السلمي وتقليل احتمالية الصراع.

وبشكلٍ عام، يمكن للدين أن يلعب دورًا حاسمًا في بناء السلام من خلال تعزيز التماسك الاجتماعي، وتوفير التوجيه الأخلاقي، وتوفير منصة للحوار والوساطة.

إن تفعيل دور الدين في مواجهة النزاعات يتطلب جهدا كبيرا لإيجاد آليات لتحقيقه في واقع البشرية نظرا للصعو ت التي تكتنف هذا التوجه ومنها التفسيرات الخاطئة للنصوص الدينية، وعدم استقلالية العديد من المؤسسات الدينية عن القرار السياسي، ومن ثم؛ عدم قدرتها على مواجهة الأفكار المتطرفة من جهة، ومن جهة أخرى عجزها عن التصدي لمحاولات إفساد العملية الحوارية.

وهناك المحددات الاجتماعية والاقتصادية الأخرى التي تلعب دوراً أكثر أهمية – مقارنةً لعامل الديني – في فهم لماذا يحدث الصراع والسلام؛ ويرى (عاطف، 2014، 1) أن هناك علاقة بتة بين عوامل مثل (الفساد، والإرهاب السياسي، وعدم المساواة الاقتصادية والنوعية "الجنس"، والحكم الرشيد) وبين الاستقرار والسلام في دولة ما؛ في حين إن هناك بعض العوامل الدينية التي لها صلة إلى حد كبير لسلام أو الصراع، وهما القيود على الممارسات الدينية، والأعمال العدائية تجاه المعتقدات الدينية؛ إذ تعد الدول التي تتمتع بمستو ت عالية من الحر ت

الدينية أكثر استقراراً، ولا تعاني من الصراعات، وذلك على العكس تماماً من الدول التي لديها هامش محدود من الحر ت الدينية، كما إن البلدان التي تتمتع بدرجة عالية من الحر ت الدينية تعد أكثر استقراراً، على عكس نظيرتها الأقل حرية في الممارسات الدينية. والعامل الأكثر ثيراً في هذا الصدد على الحرية الدينية هو طبيعة الحكومات، بمعنى أن الديمقراطيات الكاملة هي الأكثر سلمية وتتيح أعلى مستوى من الحر ت الدينية، بغض النظر عن اختلاف المعتقدات الدينية.

ويرى (عاطف، 2014) إنه لا توجد علاقة بين مستو ت الإلحاد أو التدين وبين احتمالات الصراع أو السلام، وهذا يعني أن البلدان الأكثر سلمية ليست لضرورة الأقل تديناً، كما أن البلدان الأكثر اضطرا ً ليست لضرورة الأكثر تديناً، وإن هناك العديد من البلدان الأقل استقراراً، لم تكن لديها مستو ت عالية من التعددية أو التنوع الديني.

ولا يقتصر دور الدين على تسوية النزاعات، بل يتسع لمرحلة ما بعد النزاع لضمان عدم تكرار حدوث النزاع مرة أخرى، هناك ثلاث آليات يمكن من خلالها للمؤسسات الدينية أن تُسهِم في استقرار بيئات ما بعد النزاع: التحكيم أو الوساطة في الخلافات، وتقوية رأس المال الاجتماعي، ونشر القيم المدنية.
(Dragovic 2015, 30-43)

ويرى (دوملي، 2017) أن الدين يقوم بدور فعال في مرحلة ما بعد النزاع وذلك من خلال:

1- التأهيل ودعم الضحا : وذلك من خلال توجيه الخطاب الديني، وممارسات القادة الدينيين والمؤسسات الدينية، وفعالياتها المختلفة نحو دعم قضية الضحا ، ودعمهم لكي يستطيعوا الاندماج في المجتمع بصورة سريعة ومتزنة، والإرشاد السليم للمجتمع في كيفية التعامل معهم، وتوجيهه لمساندة هؤلاء للخروج من محنتهم، ودعم عمليات الاندماج الاجتماعي حتى يتحقق الاستقرار والتماسك المجتمعي.
2- دعم المصالحة: يمكن أن يكون هناك مساهمة لرجال الدين والقادة الدينيين حضورا في عمليات المصالحة المجتمعية، وتحقيق الاستقرار بسرعة وتوازن، وأن يدعو رجال الدين والخطباء أتباعهم الى دعم مسار وعملية المصالحة، مما يحقق الأمن والاستقرار؛ والذي يعد هدف لأي دين لتنمية الاستقرار النفسي والروحي لأتباعه.
3- العدالة الانتقالية : تتطلب مرحلة ما بعد النزاع البدء بموضوع ومسيرة العدالة الانتقالية، ويكون ذلك إما نشاء مؤسسات العدالة الانتقالية أو لجان أو مشاريع مؤقتة أي محددة بفترة معينة للعدالة الانتقالية، وهذا يتطلب دعم مختلف المؤسسات ومنها الدينية، وقادة المرجعيات الدينية لأنه يتطلب إقرار تشريعات جديدة في كثير من الأحيان قد يراها بعض ممثلي الأد ن نها تستهدفهم مباشرة، أو تقلل من مكانتهم؛ لأنها النقطة الأهم في مضي عملية المصالحة مان. ويساهم دعم المؤسسات الدينية ورجال الدين لتحقيق العدالة الانتقالية على إضفاء الشرعية على المسألة، مما يؤدي إلى سرعة تطبيق القرارات مجتمعياً، ويساعد على تقديم الجناة للعدالة، وتطبيق القانون، وتحقيق العدالة بشكل سلمي.

4- التماسك الاجتماعي : بعد حدوث عمليات تحقيق السلام او عند النزوح والتشرد بسبب الصراعات والحروب تكون برامج التماسك الاجتماعي الأكثر حضورًا، ولذلك فإن دعم رجال الدين لبرامج التماسك الاجتماعي يساعد على إعادة بناء الثقة بين المواطنين وز دة التواصل الفعال ودعم برامج التعاون بين المتأثرين لنزاع من زحين أو من أتباع المكو ت الدينية المختلفة، وعندما تحصل برامج التماسك الاجتماعي على دعم القادة الدينيين يكون ثيرها سريعا، ويكون ثيرها مباشرا، ويؤدي إلى سرعة تحقيق الاستقرار، وز دة التفاعل، والتواصل، والتعاون بين مكو ت المجتمع المختلفة، مما يساعد في بناء قاعدة للاستقرار والسلم الاهلي .

5- مواجهة خطاب الكراهية على أساس الانتماءات: فخطا ت الكراهية في مختلف مراحل النزاع مرافقة لتلك النزاعات سواء النزاعات على أسس دينية، أو اثنية، أو وفقا للانتماءات المختلفة، وهذا الأمر يكون أكثر ثيرًا في مرحلة ما بعد النزاع، لذلك فإن هناك حاجة لتفعيل دور رجال الدين وعلماء الدين في مواجهة خطاب الكراهية على أساس الانتماءات أو على أساس الهو ت الدينية والاثنية، وأن يكون هناك خطط للمؤسسات الدينية في توجيه رجال الدين والخطباء لكي يكونوا بمستوى المسؤولية في توجيه الخطاب الديني لتعزيز التواصل، وتقبل الآخر المختلف دينياً، أو تقبل النقد الموجه لتدخل رجال الدين بطريقة سلبية في مسيرة تحقيق السلام، وتحقيق وتنمية الاستقرار في مجتمعات مابعد النزاع.

6- التنمية في مرحلة ما بعد النزاع : يتمثل مساهمة رجال الدين وعلماء وقادة الأد ن والمؤسسات الدينية في عملية التنمية – الاقتصادية والمجتمعية في مرحلة ما بعد النزاع في اتجاهين رئيسيين:

- الاتجاه الأول: دعم تطوير قطاع التربية، لأن التأثر لتوجهات الدينية في المناهج التربوية يعد في كثير من الأحيان سببا لنزسخ أفكار راديكالية ومتطرفة بنظر البعض، مما يتطلب تجاوز التابو المقدس في المساس لمنهج الديني وفق أسس معتدلة حتى يكون ملائما لمرحلة ما بعد النزاع.
- الاتجاه الثاني: دعم القادة الدينيين ورجال الدين لعمليات التنمية الاجتماعية: وتشجيع أفراد المجتمع على المساهمة في تنفيذ مشروعات التنمية الاجتماعية والاقتصادية بشكل طوعي، ودعمها كي تسير وفق المسار المحدد له، وضرورة التصدي للفساد حتى لاتذهب الأموال المخصصة للتنمية هدرًا، فتكون سببا في حدوث الفوارق الطبقية مجددًا، وارتفاع مستوى الفقر، والظلم الاجتماعي، وظهور بؤر جديدة للتطرف والارهاب.

وتؤكده الدراسات الحديثة أهمية دور رجال الدين والقادة الدينيين في ألا يكونوا طرفا في جيج النزاع بل طرفًا مساندا في دعم مشاريع تحقيق وبناء وتنمية السلام وتنظيم الشؤون السياسية وفق رؤى تحتضن التعددية، والتنوع، وتتوافق ومتغيرات الواقع الاجتماعي الناتج من النزاع،، وتحقق العدالة الاجتماعية لجميع أفراد المجتمع بعيدًا عن انتما تهم.

ويرى دراجوفيتش(2018) أن دور الدين قد يتسع لما هو أكثر من مجرد بناء السلام، بل يمتد لما أطلق عليه مصطلح "بناء الدولة" State Building وهو المجال الذي ينبغي تمييزه عن بناء السلام. ولقد ارتكزت على تعريف ل تشيسترمان (Chesterman,2004,5) ، الذي يصف بناء الدولة نه "مشاركة موسّعة من قبل جهات فاعلة دولية ووطنية تتجاوز الولا ت التقليدية لبناء السلام وحفظ السلام موجّهة إلى إعمار أو إعادة إعمار مؤسسات حكم قادرة على مين الأمن الاقتصادي المادي للمواطنين"، ومن هنا تبرز أهمية التعامل مع المؤسسات الدينية المحلية التي تمثل جهات فاعلة قوية تتمتع بشرعية وموارد ضخمة يمكن حشدها لدعم جهود إعادة بناء الدولة.

نيًا- طبيعة النزاعات الدولية وآليات ووسائل تسويتها:

وفقًا لمنظمة الأمم المتحدة فإن النزاع "Conflict" يمثل جانباً حتمياً من التفاعل البشري، ينشب عندما يسعى شخصين أو مجموعتين أو أكثر إلى تحقيق مآرب متضاربة أو غير متوافقة مع بعضها البعض. وقد تتّخذ النزاعات طابعاً عنيفاً، كما هو الحال في الحروب، أو سلمياً كما هو الحال في الانتخا ت أو إجراءات المقاضاة القانونية. (الإسكوا، 2024)

وتتضمن النزاعات المسلحة الأشكال الآتية: (منظمة العفو الدولية، 2024، 1):

1- النزاعات المسلحة الدولية :الحالة التي يلجأ فيها إلى استخدام القوة المسلحة بين دولتين أو أكثر، بغض النظر عن سبب النزاع أو شدته.

2- النزاع المسلح غير الدولي: مواجهة مسلحة طال أمدها تحدث بين القوات المسلحة الحكومية وقوات جماعة مسلحة واحدة أو أكثر، أو بين هذه الجماعات التي تنشأ على أراضي دولة ما. ويجب أن تصل المواجهة المسلحة إلى حد أدنى من الشدة، ويجب على الأطراف المشاركة في الصراع أن تبين مستوى أدنى من التنظيم.

فالنزاع الدولي فما هو إلا خلاف حول نقطة قانونية أو حقيقة، أو تضارب في الآراء القانونية أو المصالح بين الدول، ووفقا للمادة 2 (3) من ميثاق الأمم المتحدة، يجب على الأطراف تسوية نزاعاتهم الدولية لوسائل السلمية، ويتولى مجلس الأمن تحديد ما إذا كان هناك تهديد للسلم أو إخلال به أو عمل من أعمال العدوان، واتخاذ التدابير اللازمة لصون واستعادة السلام والأمن الدوليين. وتنشأ النزاعات بسبب الخلافات الأيديولوجية والعقائدية والدينية، والحفاظ على السلامة الوطنية، وحركات الاستعمار، وحركات التحرر. ووفقًا للفصل السادس من ميثاق الأمم المتحدة، فإنه يجب اللجوء إلى الوسائل السلمية لتسوية النزاعات والتي تشمل: التفاوض، والمساعي الحميدة، والتحقيق، والوساطة، والتوفيق، والتحكيم، والتسوية القضائية والوكالات/السلطات الإقليمية، أو غيرها من الوسائل السلمية. (Unacademy,2024)

فعلى سبيل المثال يشير تحليل ريخ المنطقة العربية على مدى قرون طويلة إلى وجود الصراعات في مختلف مستو تها، فهي تلك البقعة التي تتوسط العالم القديم، وتمر عبرها خطوط التجارة، وهي مهد الد ت،

وموطن الموارد الطبيعية، ووجهة الأطماع الاستراتيجية والسياسية؛ وهي أيضا حيث يبرز دور القبائل والعشائر الاجتماعي والسياسي. وفي عصر "الجاهلية"، لم يكن ثمة نظام تقاضٍ رسمي، فيما كانت الآلية الأكثر قبولًا لتسوية الصراعات داخل القبيلة، أو بين القبائل، هي اللجوء إلى طرفٍ لث أشبه لوسيط. (فريحات، 2024)

وقد أدى تكرار الصراعات إلى تطوير آلياتٍ لتسويتها ومنع خروجها عن السيطرة وتدمير النسيج الاجتماعي؛ (مور، 2007، 71)؛ لذلك، يزخرُ التاريخ العربي بروا تٍ كثيرة عما طبّقه العرب من الحلول أو التسو ت السلميّة للصراعات، وما أدته التقاليد والأعراف والعادات القبلية من دورٍ في ذلك، مثلما كان لها دورٌ في إشعالها و جيجها، وعزز ظهور الإسلام وسائل التسوية السلميّة الموروثة، مثل الوساطة، فوضعت الشريعة الإسلامية لها أسسًا وآلياتٍ إضافية، كما حثّت المجتمع على العناية بها.

ولا تزال منهجية الوساطة العربية–الإسلامية متّبعة على نطاق واسع، رغم التغيرات الاجتماعية والثقافية، والتحديث وظهور القومية والدولة الحديثة بهياكلها؛ فالملامح الثقافية المميزة للمجتمعات العربية–الإسلامية لم تنحسر، وبقيت العادات والتقاليد، والأعراف هي السائدة فيها، حتى مع تراجع ثيرها في المدن وبعض القرى، حيث احفتظت شعوب المنطقة لتزامها لعائلة والعلاقات الاجتماعية، وتوظّفها في مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وما يعترضها فيها من صراعات. كما يمكن ملاحظة ملامح النهج العربي–الإسلامي حتى في مجال تسوية الصراعات السياسية والعسكرية بين بعض الدول العربية، أو داخلها، هذا علاوةً على إدماج هذا النهج في النظم القانونية بدرجةٍ ما.

وعلى المستوى العالمي، ورغم طير الوساطة خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين في معانٍ سلبية، فقد تغير الموقف (El-Ahdab and Eid, 2015) ، وشهدت العقود الأخيرة ز دةً في دعم أجهزة ومؤسسات الحلول (الوسائل) البديلة لتسوية الصراعات، ولم تعد الوساطة مجرد بديل، وإنما تت جزءًا أساسيًا من نظمٍ قانونيةٍ عدة.؛ كما شهدت دراسات الصراع والسلام اهتمامًا خاصًا حياء البُعد الديني، والخروج بدروسٍ عملية ورؤىً عديدة عبر البحث في دور الدين في المصالحة وبناء وصنع السلام. (Özcelik,2006)

لثاً– بناء السلام وتسوية النزاعات والوقاية منها على أساس ديني:

تقوم المنظمات الدينية بدور حيوي في بناء السلام وحل النزاعات من خلال:

1– الوساطة والدبلوماسية الدينية: وهي نهج لصنع السلام يقوم على مشاركة الجهات الفاعلة والمؤسسات الدينية في الجهود الدبلوماسية لحل النزاعات وبناء السلام، حيث لعبت المنظمات الدينية دورًا حاسمًا في إحلال السلام في سياقات مختلفة. وأحد الأمثلة الأكثر شهرة للدبلوماسية الدينية في أفريقيا هو الدور الذي لعبته الحركة الكاثوليكية العلمانية في سانت إيجيديو في التوسط في اتفاق سلام بين الفصائل المتحاربة في موزمبيق في عام 1992. وقد كان هذا الصراع محتدمًا لأكثر من عقد من الزمان على الرغم من محاولات المنظمات الدولية والجهات الحكومية للتوصل إلى حل، مع انخراط كلا الجانبين في أعمال

عنف وحشية ضد المدنيين. ومع ذلك، أدت دبلوماسية سانت إيجيديو الهادئة والمستقلة، والتي تضمنت عدة جولات من المحاد ت بين الجانبين، في النهاية إلى توقيع اتفاقية سلام في روما في أكتوبر 1992.

2- الخدمات الاجتماعية والإنسانية الإسلامية: لقد شهدت العقود الأخيرة ظهورًا متزايدًا للخدمات الاجتماعية والإنسانية الإسلامية في مجال كان يهيمن عليه سابقًا الخدمات الاجتماعية والإغاثية المسيحية والعلمانية. ومن أهم التجارب الإسلامية الناجحة في بناء السلام في أفريقيا هي لجنة واجير للسلام والتنمية (ومقرها منطقة واجير في شمال شرق كينيا)، والتي تدمج الآليات والقيم التقليدية الإسلامية في مبادراتها لحل النزاعات. وتشمل بعض إنجازاتها إنشاء لجنة مشتركة للعشائر لرصد التوترات ومنع الصراع العنيف في منطقة واجير؛ وز دة الاعتزاف بمساهمة المرأة في صنع السلام في مجتمعاتها؛ وإحداث تغيير في المواقف بين رؤساء الشرطة المحلية؛ وإدماج تعليم السلام في المدارس إلى جانب الجهات الإسلامية الفاعلة في بناء السلام.

3- مبادرات بناء السلام بين الأد ن والتعليم من أجل السلام :ولعل أبرز التطورات في هذا المجال في العقود الأخيرة هو بروز مبادرات بناء السلام بين الأد ن والاعتزاف التدريجي على المستوى الدولي بمساهمتها في بناء السلام. وعلى سبيل المثال توجد منظمات مشتركة بين الأد ن على المستو ت المحلية والوطنية والدولية في قارة أفريقيا، وهناك جمعيات متعددة الأد ن في مجال بناء السلام لديها القدرة على تحييد محاولات تقسيم المجتمعات على أسس دينية. كما أنها ساعدت في تغيير المفاهيم السلبية والشكوك الموجودة بين المجتمعات الدينية، والانخراط في العمل الحواري، بمعنى الإجراءات المنظمة لتحويل الهياكل الاجتماعية للظلم داخل المجتمع.

رابعًا- نحو دور فعال للأد ن في تسوية النزاعات والوقاية منها:

إن بناء السلام على أساس ديني عملية معقدة ومتعددة الأوجه. إنها لا تخلو من التحد ت، مثل احتمال تورط المنظمات الدينية في النزاعات بسبب علاقاتها الوثيقة مع مجموعات أو أفراد معينين. هناك أيضًا خطر أن تؤدي مبادرات بناء السلام الديني إلى تفاقم التوترات الدينية وخلق المزيد من الصراع.

لذلك، من الضروري أن يكون لدينا فهم شامل لديناميكيات المشهد الديني المحلي وإشراك مجموعة متنوعة من الفاعلين الدينيين في مبادرات بناء السلام. لقد ساهمت مبادرات بناء السلام بين الأد ن والخدمات الاجتماعية والإنسانية الإسلامية والدبلوماسية الدينية في الاستقرار وبناء السلام. ومن المهم استمرار مشاركة المنظمات الدينية في جهود بناء السلام والتصدي للتحد ت التي قد تواجهها من أجل تحقيق السلام المستدام.

ويجب الوضع في الحسبان أن الدين يمكن أن يقوم بدور فعال في تحقيق المصالحة، وتسوية النزاعات، وذلك بواسطة رجال الدين، والمؤسسات الدينية، ويتوقف نجاح ذلك الدور وفقًا للعوامل الآتية:

1- اختلاف السياق الاجتماعي، والثقافي للمجتمع، ونظرة المجتمع وفئاته للدين، وعناصره من قادة ومؤسسات دينية، فالمجتمع المتدين يختلف في سماته وجوهره عن المجتمع اللاديني، كما إن درجة الوعي يؤثر على نجاح جهود المؤسسات الدينية.

2- مدى توافر الدعم من قي الأطراف الفاعلة من جهات حكومية وأفراد، ومجتمعات مجتمع مدني.

3- مدى قدرة رجال الدين والمؤسسات الدينية على استخدام الخطاب الديني المناسب.

4- وجود الرؤى لدى المؤسسات الدينية وقادة الدين التي تتفق والصالح العام وتعزز من جهود بناء السلام، وتسوية النزاعات، وتحقق الفائدة لجميع فئات المجتمع دون تمييز، فأحياً قد يؤدي استخدام الخطاب الديني غير المناسب إلى جيج الصراعات والنزاعات.

ويمكن للأد ن أن تسهم في بناء السلام وتسوية النزاعات والوقاية منها من خلال:

1- نشر الوعي الديني همية الاستقرار ونشر السلام، وتبني قيم التعاطف والتسامح والاحترام، سواءً من خلال المناهج التعليمية عبر مراحل دراسة الفرد، أو عبر الخطاب الديني المعلن من خلال المؤسسات الدينية، ودور العبادة، أو من خلال وسائل الإعلام المختلفة، بما يسهم في بناء ثقافة السلام والمصالحة، ويحقق الاستقرار للمجتمع ككل.

2- تنفيذ المبادرات وبذل الجهود بشكل إيجابي من قبل القادة الدينية والمؤسسات الدينية في تسوية أى نزاع ينشأ، سواء على المستوى المحلي أو المستوى الإقليمي أو الدولي، إذ يجب أن تتعاون الأطراف المعنية المختلفة في تقديم مساهماتها تجاه احتواء العنف الذي يرتكب سم الدين والقضاء عليه في نهاية المطاف، وأن تستفيد في ذلك بطريقة خلاقة من قدراتها وإمكا تها الذاتية.

3- إرشاد المجتمعات لكيفية التعامل مع ضحا النزاعات، وضرورة دعمهم نفسياً واجتماعيًا، حتى يتجاوزوا الصدمات النفسية والاجتماعية التي مروا بها.

4- دعم المؤسسات الدينية والقادة الدينيين لجهود العدالة الانتقالية، وتحقيق الإنصاف، ودعم التشريعات التي تكفل ذلك، بما يحقق المناصرة، والتأييد بين أفراد المجتمع، ومن المهم أن يتولد لدى الأفراد والفئات المستهدفة من قبل عناصر التحريض على الكراهية الدينية والاعتداءات العنيفة الإحساس بوجود دعم وتضامن، و ن أشخاص آخرين يتحدثون نيابة عنهم.

5- الدعوة إلى الحوار بين مختلف الأد ن، والمشاركة في المنتد ت والمحافل الدولية التي تدعم تلك الدعوة، وذلك بما يحقق التصدي لدعاوي المواجهة والصدام، والصراع بين الحضارات، ولكي يكون التواصل بين الأد ن مثمراً، يتعين أن يلتقي الشركاء على قدم المساواة وأن يتاح دائماً مجال للتداول الهادف بعيداً عن المبادلات الخطابية البحتة. ومن شأن توسيع نطاق التمثيل، بحيث يشمل التوازن بين الجنسين ومشاركة أجيال مختلفة، أن يكفل إسهام أعداد كبيرة من السكان بفعالية في صياغة مثل هذه المبادرات، مما يعزز

قابليتها للاستدامة، وينبغي للحوارات بين الأد ن أن تتجاوز النقاشات النخبوية لتُشرك المجتمعات على مستوى القواعد الشعبية، وذلك ما يعزز الفهم والثقة بين أطيافها المختلفة.

6- مشاركة المؤسسات الدينية في دعم جهود التنمية في مرحلة ما بعد النزاع، ودعوة الأفراد إلى التطوع والمشاركة في تنمية المجتمع بما يسهم في تحقيق التماسك والاستقرار الاجتماعي.

7- إعلان ممثلي المؤسسات الدينية والجهات المعنية الأخرى ذات الصلة عن رفض ارتكاب أية أعمال عنف سم الدين وأن يعلنوا بشكل صريح عن مناهضتهم لها ولعمليات التحريض ذات الصلة لعنف والتمييز في القانون والممارسة، كي يتسنى التغلب على ثقافة الصمت التي توجد في بعض البلدان.

8- مشاركة القادة الدينيين في عمليات إعادة الإعمار بعد النزاعات ؛ فمن خلال تعبئة الموارد للمساعدات الإنسانية ومشاريع التنمية الاجتماعية الاقتصادية، يمكن لهؤلاء القادة أن يعالجوا الأسباب الجذرية للنزاعات، وأن يعيدوا بناء النسيج الاجتماعي للمجتمعات المتضررة. كما أن دورهم المزدوج -كقادة روحيين ومجتمعيين- يُمَكِّنُهم من الدعوة إلى سياسات لَمّ الشَّمل، التي تدمج المجموعات المهمشة في الإطار الاجتماعي الأوسع، وذلك ما يزيد من تعزيز آفاق تحقيق السلام المستدام.

المراجع

أولاً- المراجع العربية:

1- لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا). مصطلح نزاع، https://www.unescwa.org/، تم الرجوع في 2024/8/29.

2- بيلفيلد، هاينر. (2014). تقرير المقرر الخاص بحرية المعتقد، الوثيقة رقم A/HRC/28/66، مجلس حقوق الإنسان، الجمعية العامة للأمم المتحدة.

3- دوملي، خضر. (2017). دور الدين في المصالحة والاستقرار والتماسك الاجتماعي، موقع معًا لبناء السلام، http://tfpb.org/?p=231، تم الرجوع في: 2024/8/29.

4- دراغوفيتش، دينيس. (2018). *دور الدين في إعادة بناء دولة سور : دراسة حالة الإسلام السني*، ترجمة: يسري مرعي، منرجمات جسور، مركز جسور للدراسات، أسطنبول، تركيا.

5- حسن، حمدي عبد الرحمن. (2023). نحو اقتزا ت آمنة،:جدلية دور الدين في بناء السلام في أفريقيا، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستزاتيجية، https://acpss.ahram.org.eg/

6- عاطف، أحمد. (2014). *العلاقة بين المحدد الديني والصراعات المسلحة*، مركز المستقبل، الإمارات العربية المتحدة.

7- فريحات، إبراهيم وآخرون. (2024). *فهم الصراعات العربية*، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر.

8- مور، كريستوفرو. (2007). *عملية الوساطة: استزاتيجيات عملية لحل النزاعات*، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.

9- منظمة العفو الدولية (AMNESTY). (2024). النزاعات المسلحة، https://www.amnesty.org، تم الرجوع في 2024/8/29.

10- النعيمي، إبراهيم بن صالح. (2021). *الكلمة الافتتاحية لندوة مركز الدوحة لحوار الأد ن* والمعنونة "حوار الأد ن، وتحويل النزاعات: نحو نموذج للتغيير"، مركز الدوحة لحوار الأد ن، قطر.

نياً المراجع الأجنبية:

11- Chesterman, S. (2004). You, the People: The United Nations, Transitional Administration, and State-building. Oxford: Oxford University Press.

12- Dragovic, D. (2015). Religion and Post-conflict State building: Roman Catholic and Sunni Islamic Perspectives. Basingstoke: Palgrave.

13- El-Ahdab, J. & Eid, M.(2015).Mediating in Lebanon: From Old to New?, in *New Developments in Civil and Commercial Mediation*, ed. Esplugues,

Carlos and Marquis, L. 6, Ius Comparatum, Global *Studies in Comparative Law*, Springer International Publishing, 9.
14- Özcelik, S.(2006). Islamic Middle Eastern Conflict Resolution for Interpersonal and Intergroup Conflicts: Wisata, Sulha and Third-Party, *Uluslararası İlişkiler, International Relations* 3, no. 12 : 4.
15- Unacademy. *(2024). Peaceful Settlement of Dispute,* https://unacademy-com retrieved at 28/8/2024.